

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ
أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
رَقِيبًا﴾ [٥٢]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن خَصَّ الله النَّبِيَّ ﷺ بالتَّخْيِير في الإرجاء والإيواء في
الآية الماضية، وهما مظهران لتعظيمه وإكرامه، وبعد أن اختار
أزواجه الله ورسوله، وأعرضن عن الدنيا؛ جاءت هذه الآية بما يزيد
سرورهنَّ من تحريم غيرهنَّ عليه؛ إكرامًا وشكرًا لهنَّ⁽¹⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تَبَدَّلَ﴾: (بدل) أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء
الذَّاهِب، يُقال: هذا بدلُ الشيءِ وبديله، ويقولون: بدلتُ الشيءَ؛
إذا غيَّرتَه، وإن لم تأت له ببديل، ويُقال: الإبدال والتبديل والتبدُّل
والاستبدال، وجميعها دالة على جعل شيء مكان آخر، ومعناه المحوريُّ
حلول شيء محلَّ شيء آخر؛ لاختفاء الأوَّل وظهور الثاني⁽²⁾، والفعل
﴿تَبَدَّلَ﴾ في معناه عدَّة أقوال منها: أن يطلق أزواجه، ويستبدل بهنَّ
سواهنَّ، أو أن يُبدِّل المشركات بالمسلمات، أو غير ذلك من الأقوال⁽³⁾.
(2) ﴿رَقِيبًا﴾: (رقب) أصل واحد مطَّرد، يدلُّ على انتصاب
لمراعاة شيء، من ذلك الرقيب، وهو الحافظ، يقال منه: رقت
أرقب رقة ورقبانًا، والرَّقِيب هو الذي لا يغيب عنه شيء، فإنَّه
مشاهد وسامع وعالم لكل ما يجري، ويسجَّله⁽⁴⁾، ومعنى الرَّقِيب في

العلاقة
بين التَّخْيِير
في الإرجاء
والإيواء، والإذن
للنَّبِيِّ في التَّعَدُّد
للحدِّد

(1) البقاعي، نظم الدرر: 387/15.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بدل).

(3) ابن الجوزي، زاد المسير: 477/3.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والهروي، الغريبين في القرآن والحديث، والراغب، المفردات، وجبل،

المعجم الاشتقاقي المؤصل: (رقب).

الآية أنه تعالى مطلع على أفعال عباده، ويحفظها، ويكملها بمقتضى حكمه المتقن، ثم يمنع ما يشاء⁽¹⁾.

✽ المغنى الإجمالي:

لما خير رسول الله ﷺ أزواجه؛ فاخترن الله ورسوله؛ كافأهن الله تعالى على ذلك تشريفاً لهن، فجعلن أمهات المؤمنين، وحرّم على نبيه الكريم الزّواج من غيرهن، أو تبديلهن بأخريات، حتّى لو أعجبه جمال غيرهن، واقتصار نكاحه عليهن حسب، ومنع توسيعه في الملاذ بعدهن إلا ملك اليمين فقط، وهو تعالى حافظ لا يغيب عنه علم شيء⁽²⁾.

✽ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

علة فصل ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾ عما قبلها:

فصل قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ عما قبله؛ لأنّه استئنافٌ بحكم جديد، وهو تحريم نكاح غير اللّائي اختارهنّ الله لنبيه ﷺ، فمنع أن يطلق واحدة منهنّ، وحرّم عليه أن يتزوّج بدلها أخرى⁽³⁾، وهو حكم فيه مجازاة لنساء النّبي ﷺ اللّواتي اخترن الله ورسوله.

دلالة ﴿لَا﴾ في قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ﴾:

﴿لَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ دالةٌ على النّفى⁽⁴⁾، وجملتها خبريّة لفظاً إنشائيّةً معنّى، والمقصود نهْيُ النّبيّ عن التزوّج بغير النّساء اللّاتي أحلّ له نكاحها فيما سبق، على خلاف في المقصود بهنّ على ما سيأتي في بيان قوله: ﴿مِنْ بَعْدُ﴾.

إكرام الحقّ
سبحانه لنساء
نبيه بالبقاء في
عصمته دون
زيادة ولا تبديل

تحريم نكاح غير
نسائه التّسع
تكريم لهن
وجزاء لطاعتهم

بيان حكم تعدد
النّبيّ للزّوجات
فوق من كُنّ في
عصمته

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 161.

(2) النسفي، التفسير في التفسير: 12/ 195.

(3) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 478.

(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 517.

دلالة المضارع المنفي ﴿يَحِلُّ﴾:

ال فعل المضارع يدلُّ على الحال والاستقبال، وفي التعبير به منفياً في قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾ دلالةً على استغراق هذا الحكم الزمن كله، من وقت نزول الآية إلى الزمن المستقبلي، لذلك لم يقع منه ﷺ نكاحٌ بعد نسائه التسع، وذلك كرامة من الله لهنَّ، ومنَّة للرسول ﷺ عليهنَّ⁽¹⁾.

كرامة الله
لنساء النبي،
ومنَّة النبي
عليهنَّ

نكتة توجيه القراءات في الفعل ﴿يَحِلُّ﴾:

قرأ الجمهور بالياء على التذكير في قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ﴾، وقرأ البصريان أبو عمرو ويعقوب ﴿لَا تَحِلُّ﴾ بالتاء⁽²⁾، فعلى قراءة الجمهور يكون المعنى: لا يحلُّ لك شيءٌ من النساء⁽³⁾، ولما كان لفظ ﴿النِّسَاءُ﴾ جمعاً؛ فإنَّ تأنيثه ليس على الحقيقة، وليس له قوَّة تأنيث الواحد⁽⁴⁾، فإذا انضمَّ إليه الفصلُ بين الفعل وفاعله بفاصل هو الجارُّ والمجرور بقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾؛ كان ذلك أدعى إلى جواز تذكير الفعل⁽⁵⁾.

تذكيرُ الفعل
باعتبار اللَّفْظِ
وتأنيثه باعتبار
المعنى

معنى (اللَّام) ودلالاتها في: ﴿لَكَ﴾:

اللام في قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ﴾ للاختصاص، فحكم تحريم زواجه ﷺ، وزيادته على ما في عصمته بقوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ﴾ مختصُّ به لا يتعداه إلى غيره من خلقه، أي: نفى عنه الحلَّ خاصَّةً⁽⁶⁾.

سرُّ إنباء ﴿لَا يَحِلُّ﴾ على الفعل (يحرم):

استعمل النظم الكريم في هذا الحكم الشرعيَّ الفعل ﴿يَحِلُّ﴾

التَّخصيصُ
بالحفاظ على
تسع زوجات
دون زيادة ولا
تبديل

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6 / 447.

(2) ابن الجزي، النشر: 2 / 349.

(3) الفراء، معاني القرآن: 2 / 346، والأزهري، معاني القراءات: 2 / 285.

(4) ابن جني، للنصف، ص: 162.

(5) الرمخشري، الكشف: 3 / 552 - 553.

(6) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 22 / 22.

التَّلاُفُ والتَّخْفِيفُ فِي مُخَاطَبَةِ النَّبِيِّ



تَحْرِيمُ نِكَاحِ
النِّسَاءِ فَوْقَ
التَّسْعِ مُسْتَعْرِقُ
جِنْسِ الْأَزْوَاجِ
عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ

بَيَانُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ
لَهُ النِّسَاءُ مِنْ
غَيْرِهِنَّ، وَلَا
أَنْ يَتَبَدَّلَ بِهِنَّ
غَيْرِهِنَّ

منفياً في قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾، ولم يستعمل فعل التَّحْرِيمَ المرادف لمعناه بأن يقال: (حَرَّمْنَا عَلَيْكَ النِّسَاءَ)، والغرض من ذلك "أَنَّ نَفْيَ الْحَلِيلَةِ تَقْتَضِي رَفْعَ الْإِذْنِ ابْتِدَاءً، وَلَا يَسْتَلْزِمُ الْمَنْعَ بَعْدَ الْفِعْلِ، وَالتَّحْرِيمُ يَسْتَلْزِمُ الْمَنْعَ ابْتِدَاءً وَبَعْدَ الْفِعْلِ، فَهَذَا أَخْفُ؛ فَلِذَلِكَ خُوِطِبَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ" (1).

معنى ﴿مِنْ﴾ ودلالاتها في: ﴿مِنْ بَعْدُ﴾:

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدُ﴾ تدلُّ على ابتداء الغاية، وهو المعنى الشائع لها في حروف معاني العربية (2)، والمعنى: أَنَّ تَحْرِيمَ الزَّوَاجِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ يَبْدَأُ مِنَ الْآنَ، أَي: مِنْ يَوْمِ نَزُولِ الْآيَةِ (3) حَتَّى مَمَاتِهِ، أَي: مِنْذُ أَنْ اخْتَرَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَلَا يَزِيدُ عَلَى نِسْوَتِهِ التَّسْعَ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِنَّ.

دلالة التَّعْبِيرِ بِالظَّرْفِ في: ﴿مِنْ بَعْدُ﴾:

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى كَلِمَةِ ﴿بَعْدُ﴾، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ الظَّرْفِيَّةَ عَلَى أَصْلِهَا، وَالتَّقْدِيرُ: لَا يَحِلُّ لَكَ تَزْوُجُ النِّسَاءِ مِنْ بَعْدِ اللَّوَاتِي أَحْلَلْنَا لَكَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾، أَوْ مِنْ بَعْدِ التَّسْعِ اللَّوَاتِي فِي عَصَمَتِكَ (4)، أَوْ عَلَى مَعْنَى الزَّمَانِ، أَي: مِنْ بَعْدِ هَذَا الْوَقْتِ (5)، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْبَعْدِيَّةِ هُوَ الْغَيْرِيَّةُ، أَي: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ غَيْرِهِنَّ، وَهُوَ مُسْتَعْمَلٌ كَثِيرًا فِي اللُّغَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ الْأَزْوَاجِ، عَلَى تَقْدِيرِ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ، وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ، أَي: غَيْرِهِنَّ (6).

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 304 / 3.

(2) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 380، والمرادي، الجنى الداني، ص: 308.

(3) الشيخ زاده، حاشية على تفسير البضاوي: 655 / 6.

(4) أبو حيان، البحر للحيط: 496 / 8.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 77 / 22.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 77 - 78.

دلالة (الواو) في قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ دالة على العطف⁽¹⁾، عطف منْع استبداله ﷺ النِّسوة اللَّاتِي فِي عَصْمَتِهِ - وَهِنَّ النِّسَاءُ التَّسْعُ - وتحريم طلاقهنَّ، على منع زواجه بغيرهنَّ في قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾، وذلك جزاء اختيارهنَّ الله ورسوله، فلم يُبَحَّ له تعويض امرأة قديمة بأن يطلقها، ويروم من طلاقها أن يتزوَّج بحادثة جديدة⁽²⁾.

عطفُ حرمة
استبدالهنَّ
على تحريم
غير اللَّاتِي فِي
عصمته

بلاغة التعبير بالكناية في: ﴿تَبَدَّلَ﴾:

التَّبدُّلُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ كناية عن الطَّلَاق؛ لأنَّه لازمه في الغالب من العُرف، فالرَّجُل لا يطلِّق إلَّا باعتياض المرأة المطلَّقة امرأةً غيرها، ولو كان المعنى صريح التَّبدُّل؛ لخالف آخر الآية أولَّها وسابقتها؛ فإنَّه ﷺ أحلَّت له الزَّيادة في النِّسَاء من الأصناف الثلاثة، وحرَّم ما سوى ذلك⁽³⁾، ويحتمل أن يكون التَّبدُّل في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ حرمة زواجه ﷺ إذا وافت المنية نساءه؛ فلا يحلُّ له عندئذٍ أن يتزوَّج غيرهنَّ⁽⁴⁾.

التَّبدُّلُ كنايةً
عن الطَّلَاق؛
لأنَّه لازمه في
العُرف الغالب

دلالة التعبير بالمضارع في: ﴿تَبَدَّلَ﴾:

التَّعبيرُ عن فعل التَّبدُّل بصيغة المضارع، في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾، فيه دلالة على استمرار النَّهي والتَّحريم في الحال والاستقبال، أي: إنَّه لا يحلُّ للنَّبِيِّ ﷺ أن يبدِّل بهنَّ من أزواج في أيِّ وقت من الأوقات ابتداءً من وقت نزول الآية، وقد ورد عن أنس رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ مات على التَّحريم⁽⁵⁾.

نفي التَّبدُّلِ
وارد على جهة
الاستمرار، حتَّى
موت الرِّسُولِ
الخاتم

(1) مجموعة مؤلفين، إعراب القرآن الكريم: 3 / 1858.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22 / 79.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22 / 79.

(4) اللاتريدي، تأويلات أهل السنة: 8 / 405.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7 / 111.

معنى (الباء) ودلالاتها في: ﴿بِهِنَّ﴾:

لا تتبدّل وتفارق
امرأة من
أزواجك بغيرها

الباء في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ تسمى بـاء التعويض أو العوض⁽¹⁾، وهي متعلّقة بفعل البدل الذي يقتضي شيئين يُعطى أحدهما عوضاً من الآخر، ففِعْلُ التَّبْدِيلِ يتعدّى إلى الشَّيْءِ الذي أخذ مكانه، وإلى الشَّيْءِ المعطى بالباء⁽²⁾.

دلالة مرجع الضمير في القيد ﴿بِهِنَّ﴾:

بيان أنه لا يحلّ
تبدل امرأة في
عصمتك من
الأصناف الثلاثة

مرجع الضمير المجرور بحرف الجرّ (الباء) في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ عائدٌ إلى المحذوف المضاف إلى لفظة ﴿بَعْدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾، وهنّ الأصناف الثلاثة ممّن أرجى، وممّن آوى، وممّن أرجع بعد العزل، فلا يحلّ له أن يتبدّل بامرأة كانت في عصمته، أو ستحصل امرأة غيرها⁽³⁾.

معنى ﴿مِنْ﴾ ودلالاتها في شبه الجملة:

بيان أنّ
الاستغراق في
النفي مفيدٌ ألاّ
يُبدّل أحداً من
الأزواج

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾، نجد ﴿مِنْ﴾ ترد للدلالة على الاستغراق والتوكيد⁽⁴⁾، فإنّه لما نفى عنه أن يتبدّل بأزواجه غيرهنّ؛ أغرق في النفي⁽⁵⁾، وجعله مستغرقاً على وجه التحقيق والتوكيد، بإدخال ﴿مِنْ﴾ الاستغراقية⁽⁶⁾ على لفظ الأزواج، أي: استغراق جنس الأزواج بالتّحريم، ومن معاني ﴿مِنْ﴾: أنّها تأتي زائدة لإفادة التّصيص على العموم⁽⁷⁾، وهو الملحوظ في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾، فالحرف هنا مزيدٌ على المفعول الثاني للفعل ﴿تَبَدَّلَ﴾، وهو الأزواج، وفائدتها العموم، والمعنى: ولا أن تبدّل بهنّ أزواجاً آخر⁽⁸⁾.

(1) السيوطي، همع الهوامع: 2/ 420.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 79.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 79.

(4) ابن الأثير، البديع في علم العربية: 1/ 246.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 388.

(6) السمين الحلي، الدر للصون: 9/ 137.

(7) المرادي، الجنى الداني، ص: 316.

(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 79.

معنى (الواو) ودلالاتها في: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهَا﴾ دالة على الحال، أي: ولو كنت يا محمد على هذه الحال⁽¹⁾، ففيه نهْيٌ مِنَ الْحَقِّ ﷻ لرسوله ﷺ عن الزَّوْجِ مِنْ أَيْ امْرَأَةٍ أُخْرَى زَائِدَةً عَلَى نِسَائِكَ، وبأنَّ تَعَوُّضَ إِحْدَاهُنَّ بِامْرَأَةٍ جَدِيدَةٍ فِي الْأَحْوَالِ جَمِيعًا، حَتَّى فِي حَالِ أَنْ أَعْجَبَهُ حُسْنُهَا، وَجَمَالَ خِصَالِهَا⁽²⁾.

دلالة التعبير بالأداة (لَوْ):

(لَوْ) في لسان العرب تأتي على أوجه كثيرة إلا أنَّ الجامع بينها الدَّلَالَةُ عَلَى الشَّرْطِ⁽³⁾، وأوردها هنا في قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾؛ لإفادة الشَّرْطِ الْمُقْطُوعِ بِنَفْيِهِ، وهي فَرَضِيَّةٌ تَقْدِيرِيَّةٌ، والمعنى: لا يحلُّ لك الزَّوْجُ، ولو في حال فرض الإعجاب بحسَنَهُنَّ، وتُسَمَّى وَصْلِيَّةً⁽⁴⁾، فهي للوصل والرَّبط في مقام التَّوكِيدِ، ويراد منها المبالغة، أمَّا التَّعْبِيرُ بِغَيْرِهَا كـ (إِذَا) مثلاً؛ فيفيد تحقُّقَ الْوُقُوعِ، وهو غير مراد هنا.

معنى ﴿إِلَّا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾:

﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ للاستثناء، وهو استثناء منقطع؛ لأنَّ لفظ ﴿النِّسَاءُ﴾، وإنَّ كَانَ فِي الْأَصْلِ يَتَنَاوَلُ الْحَرَائِرَ وَالْإِمَاءَ، لَكِنَّ غَلَبَ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْأَزْوَاجِ، وهو المراد هاهنا، والمعنى: فَإِنَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنَ الْإِمَاءِ حَلَالٌ لَكَ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا⁽⁵⁾.

الغرض من التعبير بالموصول ﴿مَا﴾:

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ اسم موصول دالٌّ

لا يحلُّ للنَّبِيِّ
الزَّوْجَ الزَّائِدَ،
ولو أعجبه
حسنُ امرأةٍ ما

توكيدٌ حكم
عدم زيادة النَّبِيِّ
ﷺ على ما أحلَّ
الله له

ملكُ اليمين
مستثنى من
حكم منع
الزَّوْجِ من غير
الأصناف الثلاثة

المنع عامٌّ في غير
ملك اليمين

(1) السمين الحلي، الدر للصون: 137/9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 80/22.

(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 337 فما بعدها.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 306/3، و80/22.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 80/22.

في أصله على العموم والشُّمول، في موضع رفع على البدلية من لفظ ﴿النِّسَاءُ﴾، أي: إِلَّا مَلِكٌ يَمِينُكَ⁽¹⁾، ولَمَّا كَانَ مَلِكُ الْيَمِينِ جَائِزًا لِلنَّبِيِّ ﷺ مطلقًا من غير تحديد؛ استعمل ﴿مَا﴾ الدَّالة على العموم والإبهام، وهي هنا واقعة على جنس النساء⁽²⁾.

دلالة التعبير بالفعل ﴿أَعْجَبَكَ﴾:

جواز الرؤية إلى
مَن يريد زواجها

فعل الإعجاب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهَا﴾، فيه دليل شرعي على جواز نظر الرجل إلى المرأة التي يروم التزوُّج بها⁽³⁾، والتَّعبير بالماضي توكيد لذلك النَّظر، وتحقيق له، يؤيِّده قول الرَّسول ﷺ للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه: حينما همَّ بزواج امرأة: (اذهبْ، فانظر إليها، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا)⁽⁴⁾.

دلالة التعبير باليمين في جملة ﴿مَلَكْتُ يَمِينُكَ﴾:

بيان حرِّية
التَّصرُّف في ملك
اليمين بما قرَّره
الشَّرع

التَّعبير باليمين في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكْتُ يَمِينُكَ﴾ فيه إشارة واضحة إلى الملكية والتَّصرُّف المطلق، فملك اليمين ما يملكه الإنسان ملكية تامَّة، ويمكنه التَّصرُّف فيه كيف يشاء، ضمن حدود الشَّرع، وهو عين المراد في هذه الآية التي لم يحلَّ الحقُّ سبحانه لنبيه ﷺ الزَّواج من النساء بعد الأصناف الثلاثة، لكنَّه استثنى ملك اليمين التي يتصرَّف فيها النَّبيُّ، فهو حرٌّ في اختيار ما يملك، وهنَّ حلُّ له على الإطلاق⁽⁵⁾، وهنَّ الإماء والسَّراري، فقد ملك منهنَّ مارية القبطية رضي الله عنها أمَّ ولده إبراهيم الذي توفيَّ صغيراً⁽⁶⁾.

دلالة (الواو) في قوله: ﴿وَكَانَ﴾:

الجملة ظاهرها
الإخبار، وباطنها
التَّحذير من
مجاوزة الحدود

الواو في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ استثنائية،

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 4 / 394.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8 / 497.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 4 / 394.

(4) رواه الإمام أحمد، رقم الحديث: (18137).

(5) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11 / 741.

(6) الهرري، حقائق الروح والريحان: 23 / 86.

وما بعدها جملة مستأنفةٌ ظاهرها إخبار بصفة من صفاته تعالى، وهو الرقيب المهيمن الحافظ، ومعناها تهديدٌ وتحذير لهم عن مجاوزة الحدود، وتخطي الحلال إلى الحرام⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالكون في قوله: ﴿وَكَانَ﴾:

التعبير عن رقابته تعالى بالكون بصيغة الماضي، في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾؛ للإشارة إلى أنه ﷻ رقيبٌ شهيدٌ عليهم، وأن رقابته كائنةٌ منذ الأزل، مستمرة⁽²⁾ وثابتة ومتحققة.

وفعل الكون في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾، يستغرق الأزمنة جميعاً ماضياً وحاضراً ومستقبلاً⁽³⁾، فقد أجمل في طياته أزمنة الدنيا كلها، فشملت رقابته ما مضى من الزمان، وما هو قائمٌ في الحاضر، وما سيردٌ في المستقبل، فهو الرقيب الدائم على كل ما كان، وما هو كائنٌ، وما سيكون.

نكتة التعبير باسم الجلالة (الله):

بعد أن بين الله تعالى أحكامه، وحدَّ حدوده أمراً ونهيًا؛ حذَّره من التهاون فيما أمرهم، ونهاهم، ولو تأويلاً، فذكر اسمه الجليل بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ الدالُّ على كماله المطلق، وعظمته البالغة، وهو العالم بكل شيء، المحيط بصفات الكمال جميعها⁽⁴⁾، وهذا التذكير بعظمة الله يزيد من خشوع العبد وتقواه، ويجعله ملتزماً بأوامره، منتهياً عن نواحيه؛ خوفاً من عقابه، وسعيًا لرضاه.

دلالة التعبير بلفظ العموم (كُلُّ):

دلَّ التعبير بلفظ (كُلُّ) في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ على العموم والاستغراق، فإنه ﷻ العليم والرقيب الذي لا

رقابة للمولى كائنة
منذ الأزل إلى ما
شاء الله الأجل

التَّحذِيرُ مِنْ
التَّهَاقُوتِ فِي
استشعار رقابة
الله تعالى

رقابته تبارك
تعالى تعم
جميع الأشياء،
بلا استثناء

(1) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 517 / 7 - 518.

(2) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 406 / 15.

(3) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 22 / 22.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 389 / 15.

يخفى عليه شيء، صغيراً كان أو كبيراً، وزاد هذا المعنى شمولاً واستغراقاً إضافته إلى لفظ ﴿شَيْءٍ﴾.

دلالة التعبير بلفظ ﴿رَقِيبًا﴾:

التعبير بالرقيب من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾، يحمل معنى الوعيد والتحذير، فإنه لما تقدّم في هذه الآيات أمر الله ونهيه وحدوده التي حدّها؛ حذّر من التّهاون بشيء من ذلك، وعبر بلفظ ﴿رَقِيبًا﴾؛ لأنه من أشدّ الأسماء وعيداً⁽¹⁾؛ إذ هو اسم يحمل معنى الاطلاع والحفظ لكل شيء، فهو سبحانه الذي لا يغفل عمّا خلق، والحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه، يعلم السرّ وأخفى، وإذا كان كذلك؛ فهو جدير بأن يخاف، ويُنقَى⁽²⁾.

❁ الفروق للمعجَميّة:

الحسن والجمال:

استعمل صفة الحسن في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهَا﴾، ولم يستعمل صفة الجمال في لفظة بلاغية لطيفة، ذلك أنّ الجمال ما يشتهر به الإنسان ممّا هو معنويّ كالأفعال والأخلاق، وما هو مادّي ككثرة المال والجسم، أمّا الحسن؛ فإنه للصورة في الأصل، ثمّ استعمل في الأفعال، فالجمال يشمل كلّ ما يثير الإعجاب، سواء كان جمالاً ظاهريّاً أم باطنياً، جمالاً معنوياً أم مادياً، أمّا الحسن؛ فهو يرتبط بالصورة الظاهرة، بالشكل الخارجيّ الذي يجذب العين.

لفظ الرّقيب من
أشدّ أسماء الله
الحسنى وعيداً

الحسن جمال
ظاهريّ يطلق
على الصّورة،
والجمال منه
مادّي ومعنويّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 389/15.

(2) الخازن، لباب التأويل: 382/1.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سبأ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سبأ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 3-98-732-9948-978
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سبأ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 3-98-732-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»